

التوعية الشعبية: مبادرات تحضير الناخب المصري

المساحات والمسافات ومسار الريزومات نحو بناء عالم جديد

عبد الرحمن حسام(*)

مقدمة(*)

تتناول هذه الورقة البحثية انتخابات مجلس الشعب المصر 2011-2012 من زاوية التوعية الشعبية. وتنقسم الورقة إلى جزئين؛ حيث يرصد الجزء الأول المعلومات المتعلقة بعينة متاحة من حملات التوعية الشعبية ومبادرات تحضير الناخب المصري، بينما يقدم الجزء الآخر قراءة تحليلية في الموضوع تعكس دلالاته على تأسيس النظام السياسي الجديد في مصر، من خلال مناقشته لمسألة المساحات والمسافات ومسار الريزومات نحو بناء عالم جديد.

ويمكن القول بأن اقتراب الورقة هو اقتراب كلي حضاري، وليس تناولا جزئيا سياسيا. وهي تنطلق من فكرة التنظير من على أرض الواقع، كما تستخدم الصور المجازية لتوضيح الأفكار التي تطرحها. و«التنظير من على أرض الواقع» اقتراب جديد نسبيا للبحث يعرف بشكل أساسي بأنه «اكتشاف النظرية من خلال البيانات»، وتعود جذور هذا الأسلوب في البحث إلى كل من «باروني جليسر» (*Barony Glaser*) و«أنسلم شتراوس» (*Anselm Strauss*).

ويأتي «التنظير من على أرض الواقع» كاختيار ضمن اختيارات منهجية أخرى، مثل تحليل الخطاب ودراسة الظواهر (*Phenomenology*)، وهناك من يرى أنه حل مناسب لتجاوز وتقويم الـ(3Rs): الرشادة (*Rationalism*)، والواقعية (*Realism*)، والتطرف (*Radicalism*)، وهي الأسس الفلسفية الكبيرة لكل النظريات والاقترابات الغربية (في العلاقات الدولية).

فمعظم ما يحدث في العالم اليوم يقوم على أساس خيالات وأساطير أصبحت جزءا من البنية الاجتماعية (*socially structured fictions*)، ويسعى كثير من الناس إلى الحفاظ على خيالاتهم وامتلاك القوة للدفاع عن أساطيرهم. أما التنظير من على أرض الواقع فيكتشف في الأغلب ما يحدث على الحقيقة، ويكتشف أن القوى الموجودة لا تقوم إلا على خيالات متوهمة وأساطير مزعومة (*discover that the "powers that be" are running on fictions*).

(*) باحث سياسي.

* أتقدم بشكري الجزيل لأبي الحبيب د. حسام أبو بكر وأمي الحبيبة أ. مها أبو العز لدعمهما المستمر والمتواصل لي والذي لم أكن لأكتب هذه الورقة وغيروها من دونه، شكري موصول كذلك لصديقي العزيز أ. حازم سالم الذي أثرى الورقة بنقاشاته وحواراته معي.

"منذ الستينات، وبعد تأسيس « جليسر » و«شترأوس» لدور البحث الكيفي والاقترابات التقليدية في بناء المعرفة، نما وتوسع استخدام «التنظير من على أرض الواقع» في العلوم الاجتماعية. ورافق هذا النمو في «التنظير من على أرض الواقع» نمو عام في المنهج الكيفي وتطورت اقترابات وتقنيات كيفية جديدة. وبعد أن أصبحت البحوث الكيفية متعددة في أساليب تصميمها، ومتطورة في العديد من أبعادها، فإن مسألة تطبيق معايير الدقة والجودة العلمية باتت تشكل تحدياً متزايداً اليوم".

والتنظير من على أرض الواقع يثير جدالات كثيرة مبدئية؛ هل هو سقوط في قبضة الواقع وأحداثه المتناثرة؟ أم هو في حقيقته مثل البحوث الأخرى مجرد فرض لأطر نظرية مسبقة على الوقائع المختلفة؟ فهناك مثلاً التنظير من على أرض الواقع المقترن بالتمركز حول الأنثى (*Feminist grounded theory*)، أم تراه وسيلة مناسبة لاختبار النماذج وتطويرها أو كشف زيفها... ولكن بغض النظر عن الجدل الدائر، فنحن هنا نستفيد مبدئياً من الفكرة الأساسية للتنظير من على أرض الواقع في صورتها البسيطة والعميقة: تطوير نظرية/ نموذج من خلال الواقع وعلى أرض الواقع، واعتبار الواقع ساحة لاختبار النموذج.

وقبل الحديث عن «جودة» أداة معينة علينا التساؤل بشأن فائدتها، ف«الجدوى قبل الجودة» و«الصلاحية شرط الصحة»، لذلك نحن نمارس «التنظير من على أرض الواقع» مع تسكينه في موقعه مما يسمى «الإطار المرجعي» بمستوياته الأربع: المصدرية والمرجعية والواقع والجماعة المرجعية، التي يربط بينها المنهج والتنظير⁽¹⁾.

من خريطة مبادرات التوعية الانتخابية:

امسك فلول⁽²⁾



تحت شعار "إمسك فلول... اسمع .. شوف .. قول" انطلقت حملة "إمسك فلول" والتي أطلقها مجلس أمناء الثورة على الفيس بوك أولاً، وبعد ذلك انطلقت للشارع والمحافظات. وصفحة الفيس بوك "صفحة ساخرة هدفها كشف تصرفات الفلول ومحاولاتهم للعودة إلى مناصبهم بوجه جديد، وكذلك القضاء على السلوكيات الغير أخلاقية التي ظهرت في عهد النظام السابق... مع ملاحظة

1. عبد الرحمن حسام، سيف الدين عبد الفتاح وهبة رءوف (إشراف)، 2009، التنظير في مسألة الدولة: إشكاليات التفكير وأزمات الواقع، مشروع تخرج غر منشور، جامعة القاهرة: كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ص 45.

2. <https://www.facebook.com/Emsek.Folu>

أفعال البلطجة والعنف، والتجاوزات الصادرة عن جهاز الأمن الوطني... والتطهر من سلوك النظام السابق كالرشوة والمحسوبية والفساد... إلخ".

حملة ببساطة بحبك يا مصر (3)



وهي حملة "تعمل على آليات اختيار مرشحي مجلس الشعب الشرفاء بحملات ميدانية تهدف لتوعية المواطن المصري سواء في الشارع أو على شبكة الانترنت".

مبادرة صوتنا (4)

صوتنا بلدنا

صوتي لبلدي هي مبادرة للتوعية السياسية تهدف "لنشر الوعي عن قيمة صوت الفرد في الانتخابات، ومنع التزوير وبيع الأصوات، والتوعية ضد حشد الأصوات بأساليب غير قانونية كسبيل للوصول لتكافؤ الفرص بين كل المرشحين". واتخذت شعارها: "صوتنا تمنه غالي ومش هيضيع ثاني - صوتي لبلدي". وعن سبب قيامها يقول القائمون بها: "نحن هنا لاعتقادنا بخطورة فقد كل مكاسب الثورة بسهولة إذا كان وعي الأغلبية بأهمية صوت الفرد والديمقراطية ضعيف، سواء بعدم الاهتمام أو بفساد الفرد واستعداده لبيع صوته، اجتمعنا بأفكارنا ومجهودنا لنخطط وننفذ مشاريع تثقيفية وتعليمية لهذه الأغلبية. هذه المجموعة تتبنى المساواة في وزن جميع الآراء بلا حُجْر أو تدخل، فقط الرأي المتفق عليه من الأغلبية يتم تبنيه للوصول لنتائج مفيدة ملموسة و يمكن قياس تأثيرها".

وتهدف المبادرة "لتزويد المجموعات والمنظمات العاملة في التوعية السياسية على الأرض في القرى والمحافظات والعشوائيات وباقي المناطق الفقيرة بمواد تساعدهم في إنجاح مهمتهم، وتوفيرها لهم في نقاط قريبة من مناطقهم المستهدفة بالإضافة لمواد يمكنهم تنزيلها وطباعتها مباشرة من الموقع".

3. <https://www.facebook.com/bebasata.bahebk.ya.masr>

4. <http://www.facebook.com/sotna.org>



اتحرك هي حركة توعية (مصرية - مستقلة - محايدة) كما تصف نفسها، أهدافها "أولاً: توعية كل المصريين بحقوقهم وواجباتهم السياسية. وثانياً: محاربة الطائفية والتوجيه السياسي والديني والمذهبي، وثالثاً: المشاركة في العمل على نهضة مصر الفكرية والثقافية والسياسية وإطلاق مبادرات عدة للتوعية. ورابعاً: التأكيد على مبدأ الحوار بين كل طوائف المجتمع".

وعن ميرر وجودها تقول الصفحة على الفيس بوك: "طبقاً لأحدث تقارير الاتحاد الدولي للاتصالات في نهاية ديسمبر 2010، يوجد 23 مليون مستخدم للانترنت في مصر، ومن منطلق رغبتنا في نزول شباب الانترنت للشارع لتوعية باقي المصريين جاء الاسم اتحرك".
وطريقة عملها كالتالي: "كل أسبوع بروشور جديد فيه تبسيط لمعلومات زي يعني إيه دستور، تسأل المرشح بتاع دايرتك عن إيه؟ إيه هي حقوقك وواجباتك في الدستور".

تحالف لحركات توعية مصر (6)



هدف التحالف "إنشاء تيار يضم قطاعات متنوعة من المصريين بمختلف فئاتهم -الفكرية والعمرية والدينية والسياسية- يتجاوز التيارات التقليدية في الحياة السياسية المصرية ويقوم على فكر ينبذ الاستقطاب و التوجيه و الإقصاء، ويبني تيار جامع يعبر عن طموحات ورؤى وأفكار مختلف القطاعات في الوطن". وهي تتطلق من الاتفاق على "التوعية السياسية المحايدة، والتعاون المشترك في المواد التعليمية والموارد

5. <http://www.facebook.com/et7rrak?sk=info>

6. <http://www.facebook.com/ECAMEgypt?sk=wall>

البشرية، والتحاور وتقبل الآخر، وعدم قبول الاستقطاب والتوجيه باستغلال الدين أو المال أو غيره، وعدم قبول فكرة إقصاء أي فصيل من المجتمع".

ويقوم التحالف على مجموعة من القيم الأساسية وهي: "الشفافية، والحيادية، والاحترام، والتسامح، والتعليم المتبادل، والنزاهة، والتحاور". وبناء على ذلك، تبنت خطة عمل طموحة للغاية، تضمنت: إدراج جميع الحركات السياسية من خلال قاعدة بيانات مشتركة وقوية، وإدراج جميع الشباب الناشط في كل مراكز مصر من خلال الإعلام والجمعيات الأهلية ومراكز الشباب، وبناء أسس اتخاذ القرارات السياسية مبنية على طريقة موضوعية من خلال مادة تدريبية محايدة، وتشجيع الحركات الشبابية المستقلة من خلال إعطاء الدعم الفني والقانوني".

التحرك الإيجابي⁽⁷⁾



"التحرك الإيجابي" تضم "مجموعة من المصريين من كل الطبقات الاجتماعية والشرائح العمرية والميول السياسية، اجتمعنا على النقاط التالية: 1- نؤيد ثورة 25 يناير منذ اليوم الأول وحتى يومنا هذا قلباً وقالباً، 2- نسعى إلى إقامة دولة مدنية تحترم وتحمي حقوق مواطنيها بالتساوي، 3- لم نشارك يوماً في العمل السياسي أو الحزبي، 4- من بعد الثورة تيقنا أن مشاركتنا السياسية أصبحت حتمية حتى نضمن سوية نجاح الثورة وتأمين مطالبها بما يتماشى مع حلمنا لمصر". وتتبنى المبادرة وسائل عدة منها: "أولاً: البحث والتنقيب عن القوى الحزبية القديمة والجديدة، ثانياً: دعوتهم لندوات ومناظرات لمعرفة أحسنهم، ثالثاً: الانضمام لأحسنهم أو إذا لم يوجد: محاولة الضغط عليهم لدمجهم في حزب واحد أو قوى سياسية واحدة، رابعاً: المساندة الفعلية لهذا الحزب أو التحالف عن طريق التركيز على الانتخابات فقط (وليس أي تداعيات أخرى) من خلال وضع خطة سريعة لتحديد الشخصيات والدوائر التي سينافس عليها الحزب في الانتخابات والتركيز الكلي على هذا الشخصيات وهذه الدوائر، وخلق حلول اقتصادية فورية لضمان تمويل الحملات الانتخابية وخطاب تعبوي ديني ومدني بسيط يهدف إلى كسب الأصوات (وليس خطف الأضواء) ثم وضع خطة تحرك ميدانية لاستخدام الموارد المتاحة بأكثر عملية وبأقل نسبة استنزاف لها حتى يتم التعبئة في الشارع والقرية والمسجد بشكل مكثف في هذه الدوائر وبصفة مستديمة عن طريق فريق عمل يكون مقيم إقامة دائمة بها".

7. <http://www.facebook.com/TaharokIgaby?sk=info>

التحالف المصري للمراقبة على الانتخابات (8)



وهو تحالف من جمعيات حقوقية تقدم دورات تدريبية للمتطوعين للمراقبة على الانتخابات من خلال مشروع "المراقبة من أجل التغيير".

مشاركة (9)



نظمت الجمعية المصرية للنهوض بالمشاركة المجتمعية حملة لتدريب المراقبين على الاستفتاء وعلى انتخابات مجلس الشعب.

أحمي صوتك (10)



إحمي صوتك هي "كتلة تصويتية هدفها إتاحة وحماية الحقوق الأساسية للمواطن المصري من خلال التأثير في انتخابات المجالس المحلية والنيابية، وده بيتم من خلال المشاركة في أحزاب ومرورا بالمشاركة في حركات ولجان شعبية ونقابات واتحادات عمال واتحادات طلبية. هذه الحقوق كان قد تم تجريفها على مر السنين ولم يكن يجرؤ حتى على المطالبة بها ولكن جاءت ثورة مصر العظيمة لتعطي المواطن فرصة المطالبة بكل حقوقه بعد أن استرد بلده بيده ودمه. الضمانة الأهم للحفاظ على حقوقك هي المشاركة السياسية الفعالة، بدءاً من المشاركة في أحزاب ومرورا بالمشاركة في حركات ولجان شعبية ونقابات واتحادات عمال واتحادات طلبية وحتى أبسط أنواع المشاركة بأن تتأكد أن صوتك يذهب لمن يستحق... وهذا أضعف الإيمان".

وحددت المبادرة ثلاث أدوات لتحقيق ذلك: (1) مشاركة المواطنين فعليا في اختيار مرشحهم في المجالس النيابية والمحلية بناء على المتطلبات التي يراها و يقررها المواطنون بأنفسهم. (2) تركيز أصوات الناخبين على

8. <http://ar.eohr.org>

9. <http://www.mosharka.org>

10. <http://www.facebook.com/e7mysotak>

مصالح الوطن العليا ومصالح مناطقهم مما سيجبر المرشح على تركيز برنامجه وأدائه على هذه الأولويات والمصالح بعيدا عن مصالح شخصية أو وعود كاذبة. (3) مراقبة شعبية ومراجعة لأداء المنتخبين قبل وأثناء وبعد انتخابهم واطمئنان الناخبين على أن أصواتهم لم تذهب لمرشح معين لمجرد وعود تتغير بعد الفوز في الانتخابات أو هدايا عينية أو سطوة عائلية أو قبلية".

صوتي (11)



بدأت حملة صوتي من أول نوفمبر حتى نهاية الانتخابات البرلمانية، بدأتها "مجموعة مكونة من أكثر من 160 مصري يعملون في مجالات التسويق والإعلام والدعاية والإعلان والسينما والغناء والتصميم والكاريكاتور والرسم والكتابة، يجمعهم حب مصر... أطلقوا على أنفسهم اسم: مجموعة "مهارات من أجل مصر"... مشروع صوتي هو أول مشروع من مشاريعهم التطوعية، وهو مبادرة لإنتاج محتوى يشجع المصريين على المشاركة في الانتخابات بطرق مختلفة: اللوحات والملصقات والأغاني والفيديوهات". يعرفون أنفسهم بأنهم "مجموعة من الشباب اختلفنا على تيارتنا السياسية وانتماءاتنا الأيديولوجية، بس اتفقنا على حب مصر ورغبتنا إنه يكون فيه تغيير حقيقي... وقررنا إننا نطوع مواهبنا لخدمة التغيير في مصر من خلال حملة صوتي".

وهدفهم "أن نسهل مهمة الشباب اللي عايزين يشتغلوا في الشارع ونوفر لهم الدعم من خلال إعداد المادة اللي هم محتاجينها بمختلف أنواعها".

"الفكرة ظهرت في اجتماع مجموعة من الشباب الموهوبين في مجالات مختلفة، وقام كل منهم بتطوير الفكرة، حتى وصلنا إلى هذا الموقع، ولا يوجد قائد، هناك فرق عمل في كل مجال وكل منها لها منسق، وكل أعمالنا تخضع لتصويت جماعي، حتى نطبق الديمقراطية في عملنا، كما نطالب بها الآخرين".

موقع مرشحي انتخابات مصر 2011⁽¹²⁾



أول موقع مصري متخصص في تقديم معلومات عن مرشحي انتخابات مصر 2012 سواء مرشحي مجلس الشعب أو مرشحي مجلس الشورى وكذلك مرشحي الرئاسة المصرية 2012 وبرامج المرشحين بجميع الدوائر الانتخابية في محافظات مصر.

أتوبيس الحرية⁽¹³⁾



صفحة متطوعي أتوبيس الحرية، "ودي مجموعة بتلف في أنحاء مصر في أتوبيس عشان تعمل توعية سياسية".

موقع Egypt Electionnaire⁽¹⁴⁾



موقع باللغة الإنجليزية به قائمة بكل الأحزاب ونبذة عنهم، ويقدم استطلاعاً للرأي "بعد ما تجاوب على أسئلته بيقولك الحزب الأقرب لأفكارك".



سياسولوجي

سياسولوجي هي حملة التوعية السياسية الأولى في كلية الهندسة - جامعة عين شمس، وهي من المبادرات التي بدأت مبكراً، حيث استهلّت أنشطتها في إبريل 2011، وهدفها "المساهمة في تكوين مهندس قادر على ممارسة الحياة السياسية بطريق سليمة بجانب عمله الهندسي، لمواجهة

12 . <http://elections.masreat.com/> .

13 <http://www.facebook.com/pages/%D8%A3%D8%AA%D9%88%D8%A8%D9%8A%D8%B3-%D8%A7%D9%84%...>

14 . <http://egypt.electionnaire.com/>.

تحديات الفترة القادمة والقدرة على وضع مصر على الطريق الصحيح نحو التقدم في جميع المجالات واستعادة دورنا الريادي في المنطقة".

وهناك مجموعة أخرى من المبادرات المتنوعة:

- نماء
- عليّ صوتك¹⁵
- رقيب
- حركة مراقبة
- مبادرة صوتك حياة (المنصورة)¹⁸
- مبادرة صوتك يفرق¹⁹
- زدني-صحح.
- سياسة البلدي.
- نريد¹⁵.
- جبهة- الجبهة القومية للعدالة والديموقراطية¹⁶.
- بسيطة¹⁷.
- مصر البهية.
- "كُون رأيك" جزء من مبادرة "ليك دور".
- قبيلة: حملة دمفس- دليل المواطن لفهم السياسة.

ملاحظات عامة على المبادرات:

- افتقدت البوصلة الثورية، فلم تجعل التحول الثوري هدفها، وإنما توعية بممارسة الفعل الانتخابي فقط.
- كانت نخبوية فقاعية بالنسبة للشارع، علاقتها به سطحية غير عميقة.
- التوعية من التيارات السياسية تم تلقيها من الجمهور على أنها دعاية انتخابية، والأكثر وضوحاً عدم ثقة الناخبين في ممارسات التوعية الانتخابية الصادرة عن اللجنة العامة للانتخابات (نحن ديمقراطيون أكثر منها كونوا ديمقراطيين)، ولم تستطع الحملات تجاوز ذلك.
- لم تتجه إلى توحيد اتجاه أو مرجعية الواجب الانتخابي؛ لأنه كان يقرأ من طرف على أنه واجب وطني، ومن آخر على أنه واجب ديني شرعي، ومن ثالث على أنه واجب إنساني... فلم توجد حملة مشتركة للتوعية الانتخابية وحسب، ولكن هناك تنافس ضمني بين حملات التوعية.
- وبعض حملات التوعية كانت عملاً احترافياً لوجود تمويل موجه لهذا الغرض، فالاستغراق في الاحترافية يقلل المصداقية، بينما افتقاد الاحترافية بالكامل يؤدي إلى عدم إحراز أية نتائج فعلية.

15 .<http://www.noreed.com>

16 .<http://www.djabha.org>

17 .https://www.facebook.com/Basetah?sk=app_154272794636138

18 .<http://www.facebook.com/Sotak.7ayah>

19 . حملة لطلاب جامعة القاهرة، وكانت حملة على الأرض في الجامعة ولم يكن لها فضاء إلكتروني.

الدلالات المستقبلية:

إن مبادرات التوعية هي شكل جديد تماما؛ لكنها لا تعكس فقط مساحة الحرية الجديدة التي انتزعت، أو سريان روح شبابية جديدة في الشارع السياسي، بل إنها تلخص في أحد أبعادها ضيق فرص النجاح في الترشح للانتخابات؛ فقد بدا المشهد وكأن حملات التوعية هي المساحة المتاحة التي يمكن للشباب أن يتحرك فيها بعد أن اكتشف أن الانتخابات "محبوزة" لغيرهم.

هنا ينبغي أن ندفع التحليل خطوة أخرى ونتساءل: لماذا لم يتحول الوعي الشعبي إلى سعي حزبي؟ وهذا سؤال مهم ودقيق؛ لأنه يتساءل بالتحديد عن تفسير لهذه الشقّة المتسعة. ولعله من المناسب هنا أن نتحدث عن «عصر الريزومات».

1- عصر الريزومات²⁰:

كانت الثورة المصرية علامة على التحول من عصر الأهرامات إلى عصر الشبكات والاتصالات، على التحول من عصر الديناصورات إلى عصر الريزومات (الديناصورات والأهرامات صورة مجازية تشير إلى الأبنية الهرمية المتضخمة، أما الريزومات والشبكات فهي تستدعي للذهن العلاقات الأفقية المتشعبة والمنتشرة)... الريزومات التي تشق طريقها نحو بناء عالم جديد.

والريزومة²¹ كلمة تشير إلى عالم النبات أصلا؛ فهي أحد أشكال التكاثر الخضري في النبات؛ فالريزومة هي ساق تمتد أفقيا تحت التربة، ثم تبدأ في تكوين براعم صغيرة خارجها، وتستنفذ البراعم الغذاء فتموت الريزومة وتنفصل البراعم لتكون نباتا جديدا مثل النجيل و الغاب. وأصلها اللغوي الكلمة اليونانية القديمة (*rhízōma*) والتي تعني "كتلة من الجذور".



20. راجع (Capitalism and Schizophrenia) أبرز أعمال جواتاري وديلوز تلامذة فوكو (and Félix Guattari Gilles Deleuze).

21. راجع: <http://en.wikipedia.org/wiki/Rhizome>.

المثير للدهشة أن الريزومة حتى لو قُطعت إلى أجزاء، فإن لدى كل جزء بمفرده القدرة على تكوين نبات جديد، وهي طريقة معروفة لدى المزارعين في زراعة نباتات مثل: الزنجبيل، والكرم، وغيرهما.



أما الريزومة كمفهوم اجتماعي فقد "طوره جيل ديروز و فيلكس غواتاري، وهو يعني في أبسط معانيه: أن الريزوم يشير إلى طريقة في التفكير مختلفة عن الطرق التقليدية الشجرية (بالفرنسية *arborescent* بمعنى «لا شجرية»); أي ضد الهيكلية والهرمية والتراتبية التي سيطرت على الفكر الغربي، والتي تصر على الهياكل الرأسية التي تقوم على هيراركيات وأوضاع محددة وجامدة. فعلى العكس، الاقتربات الريزومية تحاول أن تمضي في اتجاهات أخرى؛ إذ هي تتحرك إلى الخارج وتنتشر بشكل أفقي متفادية التنظيم²².

و"كان للفيلسوف الفرنسي جيل ديروز، والفيلسوف والمحلل النفسي فيلكس غواتاري أكبر التأثير على النظرية الثقافية؛ حيث كتب دراسة مهمة حول "الرأسمالية وانفصام الشخصية" *Capitalism and Schizophrenia* في مجلدين. والموضوع الأبرز في أعمالهما هو التعددية ومقاومة الاختزالية، ومناهضة إضفاء الطابع المادي و«التشيؤ» [أي التحول إلى شيء] (Reification) عن طريق فرض أشكال ثابتة وجامدة، مثل النموذج الأوديبى الثلاثي، وكذلك الرغبة في تطوير الأطر المتعددة الاتجاهات بديلاً لذلك. ويكون ذلك من خلال مفاهيم مثل "التحليل الشيزو-سيكولوجي" (شايرو-أناليسيس) *Schizo-Analysis* (وهو بمثابة تحريف عن التحليل النفسي التقليدي (سايكو-أناليسيس) *Psycho-Analysis*، مع الاجتهاد في تحليل حالة القاطن المرتحل تحت مسمى النومادولوجي *Nomadology* (حيث أن النوماد *Nomads* هم القبائل الرحالة من الرعيان)، وكذلك الريزوم *Rhizome* - وكل ذلك بمعنى التركيز على "ذاك الذي يتحرك، وأولئك الفارين المرتحلين المتحركين من أجل أن يصبحوا في شكل تدفقات لا مركزية الأرض أو لا مكانية"، أي خارج حيز المكان المتعين بالسلطة القائمة به (خارج أو منزوع "التيريوتوري" المكانية)، ومن هنا

22 .rhizome. (2006). In *Collins Dictionary of Sociology*. Retrieved from <http://www.credoreference.com.library.aucegypt.edu:2048/entry/collinsoc/rhizome>

يأتي اشتقاق أو صك لفظ De-Territorialized، وهي تدفقات من الطاقة تتجاوز العلاقات المحددة والثابتة القائمة على الهوية (fixed relationships of identity)²³.

وقد عمل ديلوز في جامعة السوربون، وفي جامعة ليون وجامعة باريس. في حين أن غواتاري قضى معظم حياته المهنية في العمل في "لابورد" La Borde، (وهي مصحة نفسية). وكان ناشطاً سياسياً أيضاً في صفوف اليسار، كما أنه انضم إلى حزب الخضر في السنوات الأخيرة من حياته. و"الريزومة كنموذج اجتماعي وثقافي، تقاوم الهياكل التنظيمية المتدرجة والهرمية التي تشبه الشجرة ذات الجذور الممتدة، والتي تحدد علاقات وخرائط السببية (والسلطة) عبر خطوط زمنية، وتأخذ بعين الاعتبار والاهتمام منشأ ونهاية كل شيء. أما الريزومة فهي، في المقابل، عبارة عن علاقات وصلات مستمرة وحثيثة النمو بين سلاسل سيميائية (semiotic chains) وتنظيمات للقوة، وظروف أخرى خاضعة للفنون والعلوم والصراعات الاجتماعية. الريزومة تتعامل مع التاريخ والثقافة باعتبارهما خريطة أو مجال ممتد للتفاعلات والتأثيرات التي تحدث دون وجود منبع أو أصل محدد، فالريزومة لا بداية لها ولا نهاية، فهي دوماً في المنتصف، وسط الأشياء. إن حركة الريزومة تقاوم التنظيم الجامد والتسلسل الزمني، وتفضل بدلاً من ذلك كله نظام البدو الرحالة في النمو والتكاثر.

وفي هذا النموذج، تنتشر الثقافة كسطح كتلة من الماء؛ فهي تنتشر في اتجاه كل المساحات الممكنة، وكذلك تنتسب عبر الشقوق والفجوات للوصول إلى مساحات جديدة، مكتسحة ما في طريقها. ورغم أن السطح عرضة للاعتراض والانقطاع والنقل، إلا أن هذه الاضطرابات لا تترك أي أثر؛ إذ أن بالماء ما يكفي من الطاقة والقدرة كي تسعى لتحقيق توازنها، ومن ثم تأسيس فضاء آمن وسلس لها²⁴.

إن شبكية علاقات الناس الهادفة للتغيير دون وجود علاقات بينها، هي مثل ريزومات الدرنات أو الغاب أو البطاطس التي تتكون منفردة ثم تتلاقى الثمرات فيما بعد، دون أيديولوجية ودون هيكل رأسي، وهي في هذا تتحدى منطق البنية والهياكل الرأسية، بل وتهزمها... نموذج الثورة المصرية هو نموذج النمل في مواجهة الأفيال (أو لعله بالأحرى نموذج النمل المتأزر مع الفيل: موقعة الجمل كلحظة ناماذجية وكنموذج للفيل يحمي الثورة وتحميه ويحملها-الإخوان... وهو ما يكتف ويعد من تناولنا لثنائية البيئة والفاعل، الفيل

23 .Deleuze, Gilles (1925-1995) and Guattari, Félix (1930-1992). (2004). In *The Sage Dictionary of Cultural Studies*. Retrieved from:

http://www.credoreference.com.library.aucegypt.edu:2048/entry/sageukcult/deleuze_gilles_1925_1995_and_guattari_f%C3%A9lix_1930_1992

24. انظر: <http://www.rhizomes.net/issue5/poke/glossary.html>

والنمل)، النمل الذي أكل منسأة فرعون، فلما خر الطاغية تبينت الناس أن لو كانوا يؤمنون بالغيب "ما لبثوا في العذاب المهين".

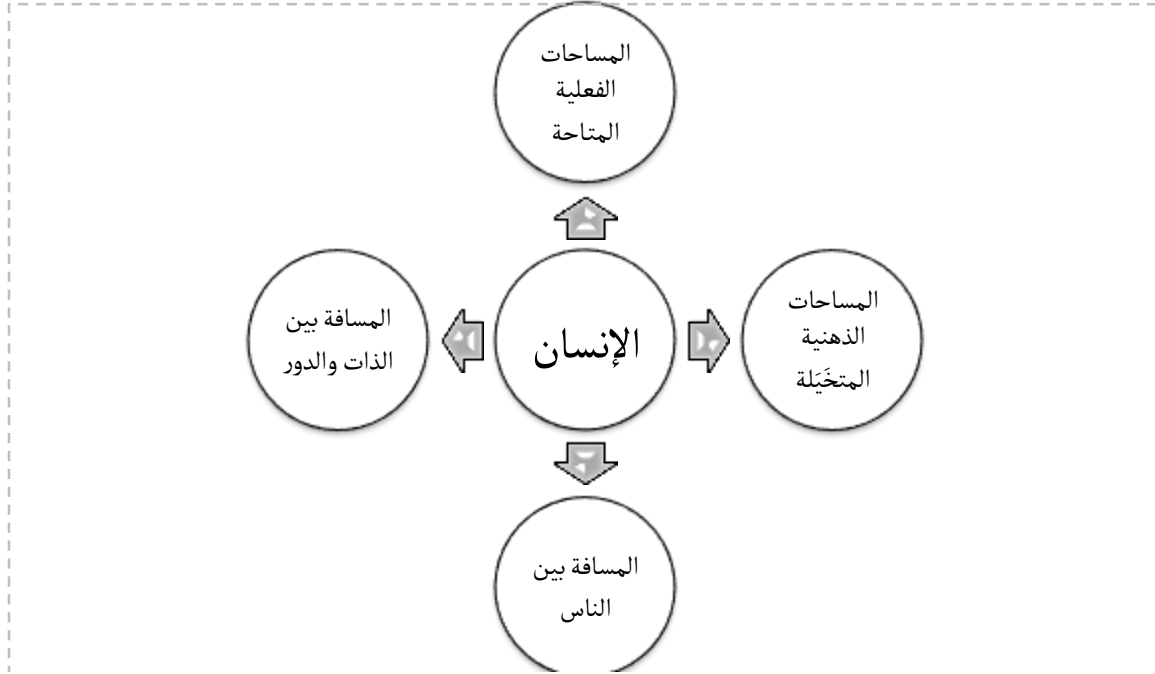
ومن الواجب الإشارة إلى معانٍ أساسية عند تحليل انتصار الإنسان على الطغيان في سياق الريزومات:

أ. تأتي أولاً فكرة المساحات والمسافات...

فالحقوق والحريات وكل ما يتعلق بكرامة الإنسان ومصالحه الحقيقية مرتبط بالمساحات والمسافات... بالمساحات المتاحة للعمل والحركة على الأرض، وكذلك المساحات الذهنية والعقلية المتصورة/ المتخيلة التي يفكر الناس في إطارها، وتتفاعل المساحتان لتوجه الحركة وتعيد رسم الحدود، وتعكس القدرة على اكتساب المساحات من عدمها، فتوجه الفعل والتقدم والانتزاع، أو تبرر القعود والتراجع والانكماش، ومن المناسب هنا تذكر ما قاله «تشرشل»: "ليس هناك شيء اسمه الرأي العام؛ هناك فقط رأي منشور!"، وهو قول يعبر بدقة عن دور المساحات في خلق وإيجاد وصنع المعاني والمفاهيم، بحق أو بباطل.

وذلك التدافع في المساحات مرتبط بالمسافات بين الناس؛ كلما زادت المسافة بين الناس (أي كلما تفككت شبكة العلاقات الاجتماعية)، قلَّت المساحة التي يمكنهم الحركة فيها وقلت قدرتهم على اكتساب مساحات جديدة، وذلك التناقض في المساحات ينعكس في شكل زيادة لسيطرة واحتكار الدولة/السلطة للمساحات، لا سيما مساحة الشرعية -كمساحة معنوية متخيَّلة- لها تجلياتها وانعكاساتها المتعينة وأثرها المهيمن على بقية المساحات، وكذلك مساحة الأحلام؛ حيث تحرص الدولة المستبدة على مصادرة أية قدرة على الحلم والأمل... وهو تدافع مرتبط كذلك بالمسافة بين الذات الحقيقية للفرد (كما يتصورها) ودوره الواقعي التي تحدث عنها «جوفمان»، فتباعد المسافة بين تصور الفرد لدوره وما يقوم به فعلا يعكس إمكانياته وقدرته على الفعل والتأثير، وكلما تناقصت تلك المسافة (أي زادت قدرته على التأثير) زادت قدرته على اكتساب مساحات جديدة للحركة.

إن الحقوق والحريات وكل ما يتعلق بكرامة الإنسان ومصالحه الحقيقية مرتبط بالمساحات والمسافات... بين المساحات والمسافات تكتب الأمم تاريخها.



ب. ثانياً تجب الإشارة إلى (*The 6 Vs: The visual-vocal-virtual-virtuous-violent and vernacular*) ...

فدور شبكات التواصل الاجتماعي التي خلقت عالماً افتراضياً (*Virtual*) في التشبيك بين الشباب وزيادة مساحات التواصل وفتح آفاق الحوار والحلم المشترك، دور محوري وأساسي في تقليل المسافات بينهم، وبناء مساحات مشتركة، مكنتهم في النهاية من التعبئة اللازمة لإطلاق الشرارة الأولى... ف"على مر العصور، ظلت القدرة على تعبئة الجماهير، وحثهم على الاشتراك في عمل واحد، كالقيام بمظاهرة، أو بثورة ضج الممسكين بالسلطة، محدودة للغاية، رسمت حدودها التكنولوجية المتاحة. فطالما ظلت تكنولوجيا الاتصال بسيطة وبدائية، ظلت القدرة على تعبئة الجماهير والتأثير فيهم بسيطة أيضاً ومحدودة"²⁵.

وهذا الدور يشبه بمعنى ما دور الراديو الترانزستور في الخمسينيات من القرن الماضي؛ "الذي سمح للبرنامج الجديد الذي أنشأته الثورة تحت اسم «صوت العرب» بأن يسمع في القرى النائية في مصر وبقية أنحاء العالم العربي. وقد ساهم هذا مساهمة كبيرة في انتشار

25. جلال أمين، مرجع سابق، ص 132.

شعبية جمال عبد الناصر، وجعل من مدير برنامج صوت العرب أحمد سعيد شخصية مهمة في تاريخ ثورة 1952²⁶.

ج. الغيب: «الرحمن»... فالثورة أسطع دليل على القوة الأخلاقية الكامنة.

2- ما بعد الريزومات:

لعل السؤال المحوري هو: لماذا لم تتحول الريزومات إلى بنية؟ أو كيف تتحول إلى بنية؟ وما طبيعة تلك البنية؟

في مرحلة ما بعد الريزومة يحدث التبادل الجيني ما بين الريزومات والتلاقح الذي ينتج في النهاية ساقاً رأسية (الغاب يزرع بالعرض ثم ينمو بالطول). فالتوعية تكون بعد التلاقح الجيني والتقارب الريزومي، وتحويل التقارب إلى تلاقح يخلق عملية الوعي، لكنه في هذه الحالة لا يكون من مصدر لمتلقٍ، بل عملية تفاعلية. وهذا الوعي يكشف مدى قدرة كل طرف أو مجموعة على منح المجموعات الأخرى قراءتها للوعي الزائف الذي خلقه النظام القديم وفلوله، وكيفية تجاوزه. وعملية تعميق الوعي والفكر هو كذلك بناء جبهوي يستطيع أن ينطلق مما هو أفقي إلى إقامة نموذج رأسي بديل للنظام الهراركي القديم.

فبعد التشبيك والتجسير للفجوات، لم تتحول الريزومات لبنية لأنها بنية غير هيكلية (*Integrated relations not structures*)، وعبر الرحلة والتطويرية تتدعم الصفات السائدة وتبعد المتتحة على طريقة «مندل» الوراثة... تتحول لبنية معرفية جديدة وبديلة لبنية فقدت معناها وإطارها الناظم الفكري أو الفلسفي والقدرة على طرح أفكار وتجديد أفكار، فهي أقرب لبقايا بنية.

الريزومات وهي تتقارب تكوّن ما قد يشبه بنية هرمية تخلق مرجعية مشتركة وقيم تأسيسية، وكلما تصاعدت عملية التشبيك والتجسير، زادت القيم وتراجعت المصالح، أو على نحو أدق لديه نزعة لتغليب القيمة على المصلحة، أو جعل القيمة هي المصلحة.

ثم تأتي مرحلة مأسسة ريزومية قائمة على القيمة والمرجعية المشتركة، وأهم عناصرها تجاوز الفئوية أو الطبقيّة أو العنصرية أو المصالح الذاتية. والاتجاه نحو الهم المشترك والهدف المشترك من كل الطرق الممكنة والمختلفة. ونمط الهيكلية الجديد يتسم بالتعددية والمرونة والقابلية للتجديد. والثورية في التحرك، فالهياكل تنشئ هياكل وهكذا حتى تحل تدريجياً محل هياكل البنية أو بقايا البنية السابقة.

26. جلال أمين، 2012، ماذا حدث للثورة المصرية؟، القاهرة: دار الشروق، ص 134.

وهذا مشروط بجودة وسلامة التفاعل الأفقي، وحيوية وتفاعلية التبادل الجيني (ما بعد الريزومة)، ومنهجية تركيبية عملية بناء الجسور. ثم تقوية وتدعيم البنية الفكرية والتصورية المعرفية البديلة التي نشأت، وتدعيم وتماسك الهيكل المؤسسي البديل.

فهي في التحليل الأخير، عملية انتقال على المستوى التصوري والفكري أولاً، يلحق بها انتقال هيكل مؤسسي، يمكن تلخيصها رمزياً في كلمة (*Panarchy*) وهي اشتقاق لغوي غير سليم من (*Anarchy*) و(*Patriarchy*). وعملية الانتقال هذه تتضمن عدة عمليات:

- التحول من العقلية الثورية إلى العقلانية الثورية، وهنا تبرز إشكالية الثورة والدولة، أو الشرعية الثورية والشرعية الدستورية.
- إحسان وإتقان التوعية وتكوين الوعي البديل هو السبيل إلى ضمان واستقرار النموذج الجديد، وتجده وتفاعله، وتطوره الذاتي. وأعني الوعي بمسلكيه: بالتنقيف، وبالممارسة.
- جعل الممارسة الديمقراطية الانتخابية غير خاصة بالفعل السياسي فقط: الانتخابات، بل جعل ثقافة التصويت والانتخاب والنزول على رأي الأغلبية كثقافة ممارسة ديمقراطية مجتمعية عامة وممتدة تبدأ داخل الأسرة والمدرسة ومؤسسات التنشئة كلها وصولاً إلى كل المؤسسات المجتمعية الوسيطة وانتهاء بمؤسسات الدولة السياسية وصولاً إلى (الحكم المحلي-البرلمان-الرئاسة).

خلاصات

- الريزومة لا تموت، ومن ثم فباب الأمل مفتوح دوماً.
- الانتقال عملية، مستويات ومراحل، سعي وجودي لا مجرد جهد نظري أو قرار رسمي.
- الوعي منطلق السعي: الدور المطلوب بناء الوعي، والتجذير الاجتماعي والثقافي لقيم الثورة كي تكون روحاً ثورية سارية في المجتمع.
- من الضروري لنجاح التحول، التوازن بين الشبكية والهرمية في إدارة التحول والعمليات الانتقالية.